04/07/2023 20:18

جمال الدين ساجم

دروب القصبة التاريخية بمراكش

احصائيات حديثة، تأملات وانطباعات

مراكش 2023



تقديم عام

حضرات السيدات والسادة

في مستهل هذه المداخلة المقتضبة، أود أن أعبر عن كامل تقديراتي لكل أعضاء جمعية الورشان لفن الملحون والتراث المغربي...هذه الجمعية الفتية التي ارتأت تنظيم هذا الملتقى بالمدينة/الحي القصبة الموحدية، تحت شعار **" الحفاظ على تراثنا سبيل للحفاظ على هويتنا"** ... شعار يعكس توجهاتها النبيلة في الحفاظ على التراث المغربي الأصيل... كما انوه بفكرة تسمية هذه الدورة باسم ابن القصبة ذ. محمد الراغي رحمه الخالق"

أكيد أن هذه الدورة سوف تكون نبراسا مشعا ينير السبيل للأجيال القادمة لاتخاذ خطوات واعدة من أجل حماية موروث الأجداد والتشبث بهويتنا و رد الاعتبار لتراثنا المادي واللامادي...أشكركم جميعا على الحضور والمشاركة في فعاليات هذا الدورة الاولى والمساهمة في انجاحها ولا تفوتني الفرصة دون التعبير عن الترحيب الحار بالضيوف الكرام الذين جاءوا من كل صوب وحدب للمشاركة في إنجاح هده الدورة.

حضرات السيدات والسادة

قبل المجيئ الى هذه المقابلة للحديث عن دروب القصبة، تلبية لرغبة جمعية الورشان، كان علي تصفح تقريبا كل ما قيل عن تاريخ ونشأة ومراحل تطور هذا الحي/المدينة عبر العصور التاريخية... وبعد الاطلاع على ما ساقه اساتذة وباحثون مهتمون، من معارف وخبرات حول هذا الموقع... وبعد أعادة قراءة ما توفر لدينا من كتابات المؤرخين وما ساقته بعض البحوث و الدراسات وما واكبها من تباينات في الآراء حول تاريخ

المغرب عامة وتاريخ القصبة الموحدية بمراكش خاصة، بالرغم من أهميتها وتعددها، اتضح لنا صدق ما اشار اليه الدكتور الفاضل عبد الله العروي في كتابه مجمل تاريخ المغرب " Histoire du Maroc : Essai du Synthèse " بخصوص تاريخ المغرب عامة مؤكدا على أن القارئ يجد نفسه:

" غير راض عما يجده اليوم في السوق من الكتب ... اذا رجع الى المؤلفات القديمة وجدها مليئة بالحروب والثورات والخرافات واشعار المناسبات. اذا التفت الى الرسائل الجامعية تاه في نظريات مبهمة عن المنهج اواي تحليلَات دقيقة حول منطقة او اسرة او تنظيمية اجتماعية. واذا التجا الى كتب الَجانب رآها تزخر بأحكام استعمارية تعكر عليه صفو يومه. فسيسخط ويقول : اين مؤرخونا؟ لماذا لَا يعيدون كتابة تاريخنا؟" [1]

انطلاقا من هذه الملاحظة ارى تحددت لدينا اختيارات مبدئية، يستند عليها هذا الطرح:

- ✓ عدم الاكتفاء بقراءة التاريخ كما كتب او كما صنع او كما تمت صياغته وتلقينه في المقررات المدرسية،
- ✓ محاولة تبني اسلوب مشوق يهدف الى تبسيط المعارف العلمية لدى مختلف الفئات من أجل استيعاب مضامين هذا الطرح.
- ✓ التمهيد لرسم أفق بحث علمي مستقبلي حول الموضوع .

حضرات السيدات والسادة

مستملحة:

قيل البدء أود أن أسوق لحضرتكم "مستملحة" هكذا اعتبرتها... ذلك أنني سئلت ذات مرة، عن الجدوى من معرفة التاريخ؟ فكان ردي باللسان الدارج "الله يلعن اللي ما يعرف أصله" باختصار التاريخ كعلم يهتم ... فعلم التاريخ يهتم اساسا بالتنقيب والحفر للعثورعلى المواقع ودراسة مخلفات من

---

[1] عبد الله العروي،" مجمل تاريخ المغرب*ج " 1 .المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، الدار البيضاء، 1996 ، ص11 .

سبقونا لاستنطاق ذاكرتها علها تفصح لنا عن أجوبة ملحة لأسئلتنا الأبدية : من أين جئنا وإلى أين نتجه؟ وكيف تشكلت البيئة القديمة؟ وما هي الفترات التاريخية التي مرت بها؟ وأي نظام كان يحكم ساكنيها؟ وكيف كانت حياتهم المعيشية ومعتقداتهم الدينية ؟

حضرات السيدات والسادة،

من هنا نستمد مشروعية اختيار موضوع هذه المداخلة المتواضعة "دروب القصبة احصائيات حديثة" التي سوف نستعرض خلالها يعض التأملات التي تركت لدينا انطباعات تروم إلى إنارة اشكالية ما آلت اليه الدروب القديمة والصروح الاثرية بهذا الموقع التاريخي الذي بصم تاريخ الغرب الاسلامي **"القصبة الموحدية بمراكش"** حيث انها لم تستطع مواكبة ظروف ومعطيات العصر الحالي واصبحت تعاني من مشاكل عديدة ومتنوعة، أبرزها :

1- تغير بنية القصبة التاريخية وتم هجرها من قبل العديد من السكان الاصليين (قهرا او بواسطة اغراءات السماسرة) وحلت محلهم طبقات دخيلة ادت بدورها إلى تغير أساسي في المستوى الاجتماعي للسكان وأشكال التعمير (بسلبياتها وايجابياتها)...

2- تغيير شامل لبعض اسماء الدروب والازقة اشكال البناء... واصبحت تفقد سماتها الاصلية مما ادى الى ظهور عملية الفصل بين الدروب القديمة و الجديدة...

3- ظهور عدة اعتداءات على البقايا الاثرية وتشويه وهدم جزء من المواقع الأثرية والمباني التاريخية التي تعود لحقب تاريخية مختلفة...

وضعية جعلت الساكنة تنظر إلى هذه الممارسات وتبعاتها الخطيرة، الذي فرضته المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كنازلة اثرت وتؤثر على المستوى المعيشي (ارتفاع الاسعار) واتسعت الهوة بين الفقراء والاغنياء ...

و الأسئلة التي تطرح نفسها الآن هي:

- ✓ إلى أي مدى سوف يقود هذا التطور؟
- ✓ وكيف ستتم المحافظة على أسماء وشكل المعمار بالدرب الأصلي؟
- ✓ وهل أساليب التعمير واعادة الهيكلة الحالية تراعي الشكل الاصلي للقصبة ؟

اهداف المداخلة:

تهدف هذه المداخلة إلى:

1- إثارة موضوع قلما استرعى انتباه الباحثين وفضول وتطلعات الساكنة، يتعلق الأمر بالبحث في تاريخ الدرب باعتباره وحدة عمرانية داخل المنظومة الحضرية/المدينة،

2- العمل على تطوير وتعزيز مستوى الوعي لدى سكان الحي بشكل خاص حول أهمية الحفاظ على العناصر المعمارية والتراثية الموجودة فيها

3- القيام بإحصائيات حديثة لدروب القصبة مع عرض مجموعة من التأملات التي تركت لدينا انطباعات و طرحت عدة تساؤلات لازالت تنتظر إيجاد أجوبة...

4- تحفيز الباحثين والمهتمين على التفكير في ايجاد مسلك منهجي لإعادة النظر في عمليات التاهيل وتسميات الدروب والأزقة والساحات القديمة بمسمياتها الأصلية ووضع مخطط عام لتحسين تموضع وتملك المرافق داخل الدرب

5- التفكير الجماعي في احداث مركز للدراسات حول القصبة الموحدية بمراكش، ماضيها وحاضرها...

6- بناء علاقة تشاركية مع الجمعيات والفعاليات عبر تنظيم حوارات ومنتديات واستشارات والعمل على استثمار نتائج هذه الأعمال في التخطيط لمستقبل البحث العلمي المعمق...

كما تهدف ايضا هذه المداخلة إلى :

تحفيز الغيورين على هذا الموروث الحضري التاريخي، للمساهمة في تقييم الواقع الحالي لهذا الحي وتحديد المؤثرات الايجابية والسلبية فيه وتقديم مقترحات لإحياء وتطوير ورد الاعتبار لدروب القصبة القديمة ...هذا الموروث المادي الذي يعد من بين المناطق ذات الأهمية التاريخية والأثرية،....

رغبتنا قوية في رسم معالم آفاق رحبة لإنجاز هذا الطموح... غير أن تحقيق الهدف المنشود يتطلب الالتزام، برمجة وتنفيذا ومتابعة وتقييما، في انسجام وتشاور مع كل المساهمين، كل حسب تخصصه، كما يتطلب تفعيل الآليات التشاركية على المستوى الترابي...

الوسائل المعتمدة في انجاز هذه المداخلة :

لصياغة موضوع هذه المداخلة المتواضعة تمت الاستعانة بدراسات سابقة مرتبطة بالموضوع كما تم التركيز على بعض الخرائط القديمة ومقارنتها بالجديدة، التقصي الميداني لرصد وضعية الدروب وضبط أسماءها، مقارنة صور قديمة بصور جديدة...

هيكلة المداخلة

تم تنظيم هيكلة المداخلة حسب الخطوات التالية :

- **تقديم عام**
- **القصبة الموحدية: سياق تاريخي موجز**
- **أهمية التفكير في تاريخ انشاء الدرب وتطوره داخل الحي**
- **الفصل الحتمي للدرب القديم**
- **دروب القصبة التاريخية : احصائيات حديثة**
- **خاتمة**

يعتبر إنجاز هذا المقترح مقدمة للموضوع العام ودعوة تحسيسية بأهمية التعريف بدروب القصبة وجعل هذه الرقعة الجغرافية قبلة دائمة للباحثين ودارسي الآثار والمستكشفين... ما نزعمه في هذا الطرح، يبقى مجرد اختبار لمكتسباتنا المعرفية، التي مكنتنا من الوصول إلى استنتاجات تعكس وجهة نظرنا المستنبطة من عدة تأملات تركت لدينا انطباعات عن قيمة ماض حافل بالأمجاد والبطولات ...

جمال الدين ساجم

ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿ ٤٦ ﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ

مِنْ غِلٍ إِخْوَانًا على سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿ ٤٧ ﴾ لَا يَمَسُّهُمْ

فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿ ٨٤ ﴾

" صدق الله العظيم"

1- القصبة الموحدية: سياق تاريخي موجز

إن استمرارية المدينة القديمة القصبة بشكلها ومضمونها التقليدي يعتمد على الحفاظ على بقاياها الاثرية وحيويتها الاجتماعية ورد الاعتبار لدروبها الاصلية وازقتها وجامعها الأعظم، لأنها أصبحت، في الوقت الحاضر، تعاني من مشاكل عديدة ومتنوعة مما قد يؤدي الى فقدان اصالة هذا الموروث الحضري التاريخي الثقافي ...

ونظرا لضيق الوقت المخصص لهذه المداخلة ودون التعمق في التفكير بالأسئلة التي يطرحها الموضوع، فإننا نرى انه من الضرورة تقديم عرض موجز عن الظروف التي أدت الى انشاء هذا المجال الحضري، القصبة، الذي انبثقت عنه الدروب وتم الارتباط الوثيق بين الفضاء والساكنة في أجزاء مختلفة...

الغوص في بحر تاريخها وتأمل هذا التركة التاريخية، ماضيها وحاضرها، دروبها وازقتها وشارعها الرئيسي، جعلنا نقر بأنها لاتزال محتفظة بأسرار وأعاجيب تتطلب من الباحثين تكثيف الجهود من اجل المزيد من الابحاث و الدراسات لمحاولة ضبط قيمتها التاريخية ورد الاعتبار لماضيها الحافل وبالتالي الكشف عن كنوز المعرفة التي لازالت بدون شك دفينة دروبها واوقتها...

كيف تم اختيار موقع بناء قصبة الموحدين بمراكش؟

عندما قرر الخليفة الموحدي عام 579 هجرية توسيع مدينة مراكش وقع الاختيار على رقعة جغرافية مجاورة لمدينة مراكش المرابطية، ليبني فيها مدينة... شرع الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (1184-1199) في مشروع بناء القصبة بالجانب الجنوبي من المدينة..تشير بعض المصادر إلى أن سلفه أبو يعقوب يوسف هو أول من وضع أسس البناء...لكن السؤال هنا هو: لماذا وقع اختيار هذا الموقع الجغرافي لبناء القصبة؟

يبدو أن ابرز العوامل التي أدت أدت الى اختيار بناء القصبة بهذا الوقع هي:

1-ان الخليفة الموحدي لما تمت له السيطرة على مراكش، اعتبر المدينة مدنسة يجب تطهيرها فقام اتباعه بتنفيذ هده التوصية فخربوا ودمروا منشآت مدنية ودينية مرابطية، كانت تزخر بها مدينة مراكش...

2- قرب موقع القصبة من مصادر المياه الآتية من جهة جبال الاطلس...

-3 ضيق مدينة مراكش وعدم قدرتها على استيعاب كثرة الوافدين...

تشير المصادر التاريخية أن التصميم يعود الى الخليفة عبد المومن و أن خلفه أبو يعقوب يوسف هو أول من أسس القصبة بمحاذاة القصور المرابطية الواقعة بالجهة الجنوبية لجامع الكتبيين...على أنقاض جزء من جنان "الصالحة" الحديقة المرابطية الغناء...واتخذها الخليفة الموحدي مقرا لإقامته ومصدرا لقراراته السياسية...

أخبرنا ابن عداري المراكشي في كتابه **"البيان المغرب في اخبار المغرب" (نهاية القرن الثالث عشر-حوالي 1295م)** بقوله: **" فاتفق رأيهم على زيادة مدينة متصلة من جهة القبلة ؛ ورجعوا إلى الخليفة وأعلموه بذلك، فرأى رأيهم وأمضى سعيهم وأمر العبيد والرجال بهدم السور المذكور وبناء باب الشريعة مدة من أربعين يوما حتى اكتمل وجاء على قدر فيه وأمل ...."**

ومباشرة بعد الانتهاء من هدم السور شرع في بناء المدينة الجديدة بنظام معماري محكم، بأزقته ودروبه المنتظمة، يتوسطها شارع رئيسي وأصبحت تعرف بإسم تامراكشت وتعني مراكش الصغيرة...بنى بها أسوارا ضخمة، وأبوابا عالية، وتتوفر على قصر للخليفة و بساتين عجيبة و جامع أعظم غاية في الزخرفة...

حدثنا مؤلف مراكشي مجهول، عاصر دولة الموحدين، في كتابه **"الاستبصار في عجائب الامصار"** (بدأ في تأليفه سنة 587هـ) قائلا أنها : **" ... كانت بحائر عظيمة، فبناها قصورا وجامعا**

وأسواقا وفنادق وجلب التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبق في مدن الأرض أعظم منها وأمر بعمارتها سنة 585 هج / 1189م........"

ويؤكد ذلك ابن سعيد المغربي '(توفي سنة 1286م) بقوله: " ... **ولا أدري كيف أصل إلى غاية الوصف، أصف به ترتيب هذه المدينة المحدثة؛ فإنها من عجائب همات السلاطين، ذات أسوار ضخمة وأبواب عالية وبها قصر الخلافة وبها ديار عظيمة، منها دار البلور ودار الريحان وكل دار منها لا تخلو من الماء والبساتين العجيبة والمناظر المرتفعة على بسائط مراكش ..."**

في وصف الحسن بن محمد الوزان الملقب بليون الإفريقي للقصبة في مدوناته [2] ، عندما زار القصبة بداية القرن السادس عشر 1515م/920هـ والتقى خلال زيارته بعدد من النبلاء والأعيان، يحكي بكل بتفصيل وبإحساس جميل عما عاينه بهذه المدينة وعن انطباعاته قائلا:

- ✓ **بها جامع في غاية البهاء تعلوه صومعة في غاية الجمال**
- ✓ **وفي القصبة ايضا مدرسة في غاية الحسن او غلى الاصح مؤسسة معدة للدراسة وسكنى مختلف الطلبة**
- ✓ **وفي القصبة ايضا احد عشر او اثنا عشر قصرا حصينا في غاية الجودة**
- ✓ **كان يوجد على طول سور القصبة بستان في غاية الحمال والسعة مليئ بجميع انواع الاشجار والازهار فيه حوض مربع عمقه 7 اشبار**
- ✓ **كان بالقرب من هذا البستان معرض للوحوش كالزرافات و الفيلة والأيول المختلفة**

تم ترميم القصبة وألحقت بها حومات اخرى من قبل سلالة السعديين في القرن 16، لا سيما في ظل السلاطين عبد الله الغالب الذي أنشأ الحي اليهودي، *الملاح* و أحمد المنصور قبور السعديين وأطلال قصر البديع وفي العهد العلوي اضيفت اليها حومات أخرى ياب احمر، سيدي عمارة، جنان العافية...

---

[2] ("وصف افريقيا"، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983 ، صص. 131-135.)

بناها الاولون وتناساها اللاحقون... كل من زارها أو استرسل في وصف معالمها، الا و ترك لنا عنها انطباعا جميلا عن قصورها ودروبها وقاطنيها وجامعها الأعظم، غير أننا غالبا ما نجد هذه الانطباعات مشفوعة بغمرة من الاسى والاسف على ما تعرضت له من هجمات وما اصابها من ويلات وما ألم بها من متغيرات حتى آلت الى ما هي عليه الآن... فمن عاصمة لإمبراطورية واسعة بصمت تاريخ الغرب الاسلامي الى مجرد حي من احياء مدينة مراكش... لكن القصبة، تاريخها و دروبها وأزقتها، لازالت هنا، تحتفظ بذاكرتها...

التصميم و الشارع الرئيسي

حين شرع المعماري الموحدي في تخطيط المدينة "تامراكشت" أو مراكش الصغرى، تم الاستناد (كما قلنا في البداية) على الطريق الكبير المستقيم، الممتد من الجنوب إلى الشمال (شارع بوطويل) الذي كان يجزئ موقع جنان الصالحة الى نصفين (شرقي وغربي) ليكون محورا أساسيا و شريانا رئيسيا الذي تتفرع منه الدروب فبرزت مجموعة من الإنشاءات الى جانب البنايات الادارية والدينية... وفقًا للحسابات التي أمكن تحقيقها من خلال بعض الدراسات الاستقصائية ، كان طول الشارع الرئيسي 1500 متر وعرضه حوالي 5 متر..؟.

بعض التأملات التي دونتها مذكرتنا طيلة مدة من الزمن تؤكد أن هذه المدينة/الحي تنفرد بتصميم غاية في الإبداع والاتقان، من حيث كونه يخالف جميع التصاميم المعهودة آنذاك عند تأسيس وبناء المدن: عند الإغريق والرومان وحتى عند العرب المشرقيين ... كيف تم ذلك؟

- لقد اعتمد **الإغريق** في تصميمهم للمدينة مخططا على شاكلة رقعة الشطرنج ...تتوسطها ساحة تسمى

agora (أو الكارة) يخترقها الشارع المقدس المؤدي الى أكروبوليس Acropole الذي يشرف، من خلال هضبة صخرية، على المباني الدينية في جانب والمرافق السكنية والتجارية في الجانب الآخر...

- أما **الرومان** فقد اعتمدوا تصميما يستند على تقاطع شارعين رئيسيين : decumanus maximus و cardos ou le cardine تتوزع وسطهما المباني والمرافق السكنية Insulae ...للإفادة، يعتبر الفيلسوف اليوناني هيبوداموس(Hippodamus القرن الخامس قبل الميلاد(أول مخطط مدينة و "مخترع" التخطيط الحضري المتعامد و توزيع الوظائف والطبقات الاجتماعية عبر المدينة. أطلق عليه أرسطو لقب "أبو تخطيط المدن" و هو من وضع تصميم تجزئة المجال بالارتكاز على تقاطع الشوارع على شكل زوايا قائمة تضم مرافق مقسمة إلى ثلاث طبقات: الحرفيين والمزارعين والجيش...

- كانت المساجد تؤثر على تخطيط المدينة الاسلامية بشكل ملح فكان أول ما يشغل اهتمام المهندس المعماري المسلم هو بناء المسجد بالقرب من الدور السكنية... بالنسبة للمعهود في بناء المدن لدى **العرب المشرقيين** اعتماد تصميم على شكل دوائر يتوسطها المسجد (مثال مدينة مراكش)...

- عندما اراد الخليفة الموحدي بناء القصبة بحث في امكانية تجاوز الانماط المعهودة في تخطيط المدن، فعمل على ابتكار تصميم خاص على شكل شجرة باعتبار الشجرة مثمرة تغدي من حولها...فأرادها أن تكون كالأم التي تؤمن الحليب لرضيعها...فجاء التصميم مطابقا لهذا التصور حيث أن للشجرة ثلاثة أجزاء رئيسية :

  - ✓ **الجذور**: وهي المرجعية الإسلامية المتمثلة في الجامع و
  - ✓ **الجذع**: المتمثل في الشارع الطويل المسمى الآن يوطويل
  - ✓ **الفروع**: المرافق و الدروب على اليمين واليسار
  - ✓ **تاج الشجرة**: يرمز الى السلطة الدنيوية **الممثلة** بدار الخلافة

أطلقنا على هذا الشكل الهندسي اسم التصميم الحشرجي أو Plan arboresque وينقسم الى 3 أقسام:

- **القسم الأول وهو الأكبر** و يُغطي حوالي 24 هكتارا... ويمثل تاج الشجرة وبه قصور الخليفة ودور الخدم...
- **القسم الثاني** يغطي تقريبا مساحة تقدر ب12 هكتاراً ويحتوي على مختلف المرافق الإدارية التي تتطلبها الدولة... ويمثل جذع الشجرة
- **القسم الثالث،** يحتل 8 هكتارات ويضم الجامع الأعظم الواقع بمنتهى الشارع الرئيسي جهة الشمال...ويرمز الى جذور الشجرة...

منذ ذاك العهد ظل الشارع الرئيسي المحور الأساسي في تصميم القصبة الموحدية والذي تفرعت عنه الدروب والازقة وتم اعمارها أولا بالنبلاء والأعيان وتابعيهم ثم استقطبت منتمي القبائل الموالين للسلطة... سيظل الشاهد الحي على ماض حافل بالأمجاد والبطولات...

على اثر هذا اصبحت قصبة مراكش أول نموذج للمدينة المغربية الأصيلة و أصبح هذا الشارع الرئيسي يشكل العمود الفقري للقصبة/المدينة ويربط الجامع بدار الامارة......حاليا يبلغ طول هذا الشارع حوالي 600 متر(من الجامع حتى ضريح المنصور) ...

القصبة التي كانت عاصمة الامبرطورية الموحدية بمراكش و بصمت تاريخ الغرب الاسلامي ككل، اضحت مجرد حي صغير من بين أحياء مدينة مراكش وطالها الإجحاف مند مدة طويلة، لكن دروبها وازقتها وبعض الاطلال بها لازالت تحتفظ بأعاجيب وأسرار تشهد على ماض عريق حافل بالبطولات والانشاءات الكبرى...

لقد أضحت المعالم التاريخية والأركيولوجية بالقصبة عرضة للطمس والتدمير والتشويه، بسبب مشاريع التنمية الإقليمية التي لا تولي اهتماما بالسمات التاريخية المميزة : بدأت الأنشطة التجارية تغزو المنطقة ، مما أدى إلى تقويض قيمة النسيج العمراني التاريخي...

لكن دروب القصبة لازالت تحتفظ بذاكرتها و لازالت تفيض بالثقافة والتاريخ والحياة، أبهرت من سكن بها ومن زارها... فالكل يجلب انتباهك ويدعوك الى الاستماع لقصته... مدليا بشهادات استثنائية عن الحضارات التي أنشأت هذا الموروث المادي وعن كل من ساهم في الحفاظ عليه ومن عمل على تطوره : الموحدية والسعدية والعلوية.

تأمل هذا التركة التاريخية، ماضيها وحاضرها، و فهم التصميم المعماري والعناصر الهندسية القديمة ومحاولة استنطاق البقايا الأثرية ترك لدينا انطباعات، تعكس الصورة التي التقطناها لهذه

المدينة/الحي وجعلنا نقر بأن هذه المنشأة المعمارية لاتزال محتاجة إلى المزيد من الدراسات وضبط منهجية مبنية على أسس علمية، لمحاولة ضبط قيمتها التاريخية ورد الاعتبار لماضيها الحافل...

ماضي القصبة ليس هو حاضرها... فالمنطقة تعد الآن من بين المناطق ذات الاهمية التاريخية والاثرية، لكن لسوء الحظ، لم تكن هناك حفريات أثرية أو دراسات منهجية تكشف عن مؤشرات القيم الحضرية والمعمارية القديمة بهذه المدينة/الحي. جل الاكتشافات تمت عن طريق الصدفة : أثناء حفر أساسات الدور أو ما يسمى بالرياضات وعند القيام بحفر قنوات الصرف الصحي التي كانت تتم، مع كامل الاسى والاسف، في غياب الباحثين والمختصين بدراسة آثار الأقدمين ... وكل من تعاقب على ادارة وتدبير الممتلكات الجماعية التراثية بالقصبة الموحدية بمراكش لم يعراي اهتمام يذكر بهذه المنطقة ذات الأهمية التاريخية و الاركيولوحية. مما جعلها تتعرض لعدة متغيرات مقصودة او غير مقصودة...

يمكن اكتشاف القصبة وإعادة اكتشافها في أي زمن، دروبها وأزقتها والتأمل في تصميمها المعماري القديم/الحديث والاحساس بسحرها الذي ينبع من كل منطقة وأجواءها، وجامعها الأعظم... البقايا الأثرية المرئية في الدروب والأزقة ووسط الدور القديمة تشهد على أصول تعود إلى فترات قديمة كما ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالأحداث والمرويات الشعبية والتقاليد : من منا لا يزال يتذكر قصيدة جنان **الصالحة** التي تداولت منذ الفترة المرابطية التي خلدت هذه المدينة...

تلكم سيداتي، سادتي أحاسيس راودتني منذ زمن وجعلت من الصعب وصفها في بضع كلمات... فعلى الرغم من المتغيرات لا يزال من الممكن الاشتغال على وضع قائمة لا حصر لها للمعالم التاريخية والأثرية الدالة على ماضي هذه الحومة/المدينة "القصبة"، لأن لديها ما يغري فضول الزائر...

2- دروب القصبة التاريخية: احصائيات حديثة

يبدو أنه من الأهمية بمكان أن نتعرف على الدروب القديمة واحصاءها وفهم نشأتها ودلالات الأسماء التي أطلقت عليها وترتيب البنايات داخل الدروب و تطور نوعية الساكنة وكثافة المباني التي تم بناؤها في كل عصر...وهذا لن يتأتى الا بتكثيف الدراسات حول تحولاتها، عبر المراحل التاريخية، بالاستناد، طبعا، على المناهج العلمية والتقنية المطبقة...

من شأن القيام بدراسة معمقة لهذه الجوانب، أن تكشف عن المراحل والأسباب التي أدت الى تعديل المشهد الأصلي لهذه الدروب وفسحت المجال الى ظهور عدة دروب وأزقة جديدة وتضاعف عدد الدروب والمباني الغير المتجانسة... مما أفرز التمزق وعدم التكافل بين الساكنة، وبدأ يظهر لنا التمييز أو الفصل الحتمي للدرب التاريخي« L'inévitable séparation du sentier historique » وخصوصياته، الذي يصارع من أجل البقاء، عن الدرب الجديد الذي فرض هذه الوضعية بكل ما تحمله من سلبيات وايجابيات...

لقد لاحظنا أن الدرب القديم أصبح مجردا من أصالته ومميزاته وغالبًا ما يكون مقصورًا على كتلة أو مجموعة من المباني غير متجانسة: منازل وفنادق ومطاعم معدة للسائح (الرياضات، حيث تتركز النخب البرجوازية الأجنبية) مجاورة لمنازل مجموعات سكنية شعبية... لكن الدرب الأصلي، رغم كل هذه المتغيرات، ما زال قادرا على فرض نفسه متحديا هذا التمييز ولايزال يشكل جزءا لا يتجزأ من المنظومة الحضرية العامة للقصبة التاريخية...

في هذا الباب سنقوم بجولة تهدف الى إحصاء دروب القصبة الموحدية، مستثنيا الاحياء التي ألحقت بها... لذا من أجل التأمل وترك انطباع عن هذه الدروب الواقعة بالقصبة الموحدية بمراكش، يجب التعرف عليها عن كثب ولكن قبل ذلك ارى من الضروري تحديد مفهوم بعض المصطلحات التي يتم تداولها بالخطأ؟

- **الحومة :** تضم مجموعة من الأحياء
- **الحي :** يشمل مجموعة من الدروب كحي سيدي منصور، حي دار اليديع، حي صهريج كناوة...
- **الدرب :** يضم مجموعة من الفخدات والدور
- **الفخدة** : درب صغير، داخل الدرب الكبير، غالبا لا يحمل اسما ويضم اقل من عشرة منازل
- **الصابة :** تجوي دار أو دارين وغالبا تكون مسققة...

- **<u>من مدخل باب أكناو إلى حدود مقبرة السعديين (ساحة الجامع الأعظم)</u>**

- درب السدرة، درب الحجرة، درب الحمام، الدرب الصغبر أمام الجامع

نشير الى أن هذه المنطقة كانت الى حدود فترة السعديين ساحة دفاعية بها معسكر كبير للجنود ومنها انطلقت الى الأندلس في معركة الأرك سنة 591 هجرية....

- **<u>من مقبرة السعديين الى ضريح سيدي منصور، على طول الشارع الرئيسي :</u>**

- درب أكادير، درب الرحالة الذي يشمل ثلاثة أجزاء : درب أزدو على اليمين ودرب الصابة ثم درب بن عاشرالذي يضم فخدة عطوش وفخدة علوان

- درب الجديد ، درب بايسي، درب البغالة (وهومقسم الى درب سيدي علي، درب سيدي بريك، درب بانكا، درب الحفرة)،

- درب ابزو، درب اصبيطار المؤدي الى درب بن زينة ، درب المنابهة (به 3 فحذات) .

- **<u>من موقع ضريح سيدي منصور الى درب اشتوكة</u>**

- درب تادلة، درب التقاوس، درب السقاية، والممر المؤدي الى دار المخزن.

- **<u>على يسار ضريح سيدي منصور حتى مخرج باب القصيبة (سوق النخالة)</u>**

- درب المحاميد، درب اقبالة (مجزأ الى 3 فخدات)، درب الاوداية الأول والثاني ثم الثالث، درب أمزميز، فخدة الفران، درب العرب، درب القاضي

- **<u>على يمين ضريح سيدي منصور الى ساحة التقاوس: ليس به دروب</u>**

به 3 فخدات وصابة (فحدة اليحاوي وفخدة اللحياني.....) ، مدخل سويقة الحاج عبد الله...

- **<u>من ساحة التقاوس الى طوالة صهريج كناوة</u>**

- فخدة بها مرابض الخبول (الروا)، درب طامومنت، درب احمد الديك درب سيدي مسعود (له مخرج الى سويقة العريفة وبه دريبة الجامع)، فخدة أمام السقاية القديمة، فخدة أمام دار العلمي، دربان صغيران جديدان

- **<u>سويقة الحاج عبد الله أو سويقة العريفة</u>**

درب سيدي مسعود (له مخرج الى طوالة صهريج كناوة) درب الخميرة، الدروب الجديدة ، درب الصويرة، درب المنابهة ودرب بن زينة، درب السويقة، درب العطار، درب البير، درب الشبانات

- **<u>مدخل ما يعرف بسويقة قصبة النحاس :</u>**

بها درب حربيل وبه فخدة تضم 4 منازل كان يسكن بها الرايس عمر واهروش يليها درب حربيل ثم درب عبدة المحادي لساحة الخرب . يعرف هذا الممر مخرجان :

1- يؤدي الى طريق دار المحزن مرورا بدرب العرصة الكبير
2- يليه ممريؤدي الى الشارع الرئيسي عبر درب الصبيطار على اليمين
3- ثم درب بن زينة الى اليسار

- **<u>درب اصبيطار</u>**

فخدة مدرسة بلوش، فخدة دار الحاج كبور، فخدة سوكارنو،

- **درب بن زينة**

(به فخدة قصاد)، درب اكركور،

- **قصيبة النحاس حتى الكنيس اليهودي**

درب السباعية، فخدة القانت، درب دمنات، درب الوالدين، درب للا إزا احماد، درب عيوش، درب زهرة الغرض، فخدة امام زاوية عيساوة، فخدة دار الناجي، درب التوارك والدرب الذي يليه وبينهما فخدة بجانب حمام الاناقة...

- **طريق دار المخزن من السويقة الى سويقة العريفة 7**

فخدة مول الجبص، درب الطبال. درب المكينة الكبير، درب المكينة الصغير، درب دار البديع الكبير، درب العرصة الصغير، درب العرصة الكبير. درب الرياض الحديث، (فخدة الفطواكي وفخدة السباعي)......

- **حي دار البديع الكبير**

درب القائد بوهو+ درب دار سي حسي، درب دار البديع وبه درب بلفقير ، درب العرصة الصغير المؤدي الى جامع دار البديع، درب العرصة الكبير

الدرب كونه وحدة عمرانية جدير بالوصف والاستكشاف والبحث في تاريخه الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي أو الاقتصادي... دروب القصبة، باعتبارها هوية تاريخية مثقلة بالرمزية، تدعونا الآن للتوقف عندها وتأمل تركيبتها لأنها لازالت تحمل اسرارا وأعاجيب وثراء في دلالات التسميات...

خاتمة

العودة إلى احصاء وتأمل دروب القصبة ترتبط بمدى رغبتنا في الكشف عن ماضي الاسلاف وموطنهم القديم وبالتالي ضبط هويتنا وأصالة ثقافتنا الموروثة...انه الشوق إلى معرفة الموطن القديم وأشكال التعايش الحضري داخل وحدة العمرانية (الدرب)...التأمل في مكوناتها، يهدف أساسا الى إعادة الاتصال بالماضي الذي يشغل بالنا في هذا العرض المتواضع و من المحتمل أن تساعد البقايا الأثرية البي صادفناها في إعادة اكتشاف القيم التي تمكن من التعايش والتكافل والسلام...

ان عملية شراء منزل قديم أو موقع تاريخي أو تراثي داخل الدرب والسماح بحق التملك داخل دروب القصبة ، وما صاحبها من الاغراءات المالية، بدعوى ان دروب ومنازل القصبة التاريخية متداعية وعفا عليها الزمن، تنم عن رفض التاريخ الكامل للدروب والمباني وقيمها التي أنشأت من أجلها، وادت بالتالي الى هجرة السكان المهمشين ذوي الدخل الاقتصادي المنخفض واختيار مكان إقامتهم خارج القصبة...

حق التملك والميزات الممنوحة لذوي رأس المال يؤدي إلى القضاء التدريجي على الأماكن الأثرية وحلق فصل حتمي للدرب القديم... وهذا لا يزعج المروجين والسماسرة وكل ما يهم هو أن تجد في القديم مبررا للانفصال عن الحاضر... كما ان الترميمات التي تم إجراؤها على يعض الدور حركة واسعة وممارسات مدروسة تسعى حاليًا الى طمس الهوية الثقافية والنكران الجذري للماضي، عن قصد او عن غير قصد... أفعال لا يسمح بها المواطن الغيور عن تراثه المادي، الحضري...

فهل عملية الترميم والسماح بالتملك للموقع التاريخي ينظر اليها بمثابة تجسيد لفئات جديدة تجد في هذا الاستثمار طريقة جديدة للعيش أكثر من أي وقت مضى؟

تلكم سيداتي، سادتي مجموعة من التأملات التي افرزت هذه الانطباعات المبتغى منها تحسيس الأجيال بالطابع الاستثنائي للقصبة التاريخية ، إعادة تقييمها والكشف عن أعاجيبها وأسرارها، هو أحد تحديات هذا العمل، مما يعزز فكرة تأسيس مركز للأبحاث والدراسات حول تاريخ القصبة الموحدية والعمل من أجل استرداد وإعادة تقييم وحماية تراثها الثقافي والتاريخي.

حضرات السيدات والسادة

أود في نهاية هذه المداخلة المتواضعة أن أشكركم على حضوركم و حسن اصغائكم.

والسلام عليكم.